من برق الشي بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلوا
ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات السحاب فاذا
كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل واما
ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه
مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانها السحاب
قلت اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك
تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغله جرمه فان قلت هلا
جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري ٭ يا عارضا متلفعا ببروده ٭
يختال بين بروقه ورعوده ٭ كما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد
العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السما رعدا وبرقت
برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد
الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جات هذه الاشيا منكرات لان المراد
انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز
رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قايما مقامه
الصيب كما قال اوهم قايلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى
الى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله
٭ يسقون من ورد البريص عليهم ٭ بردى يصفق بالرحيق السلسل ٭
حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا
لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يوذن بالشدة والهول فكان قايلا قال
فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال
فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت
راس الاصبع هو الذي يجعل في الاذن فهلا قيل اناملهم قلت هذا من
الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم
وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ
وايضا في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع
التي يسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لان
السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى باداب القران الا ترى انهم
قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فان
قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها
الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق يتعلق بيجعلون
اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في اذانهم كقولك سقاه من العيمة
والصاعقة قصفة رعد ينقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب
اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشي الا اتت عليه الا انها
مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت
ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)